الثقافة الاسلامية المدرسية

ونظامية بغداد

بقلم الاستاذ مصطفى جواد (بغداد)

إن اتخاذ بناية وتعيين مدرس أو أكثر فيها لتدريس جماعة من طلاب العلم يحضرونها أو يقيمون فيها وينفق عليهم صاحبها أو يحبس عليهم من ماله وعقاره ، لم يكن ذلك معروفاً في صدر الاسلام ، وإنما المعروف من مواضع التعليم « المكتب » و « الكتّاب » ، فقد جاء في الأخبار قول عبد الله بن مسعود الصحابي « لقد أخذت القرآن من في رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة، وإن زيد بن ثابت لغلام في الكتّاب له ذؤابة ». وقال أبيّ بن كعب « لقد قرأت القرآن وزيد هذا غلام ذو ذؤابتين يلعب بين صبيان اليهود في المكتب [1] » .

وكان المسلمون في المدينة قد رأوا لليهود فيها « مدارس » وهي جمع « مدراس » يعلمون فيها صبيانهم قراءة التوراة ويكتبونهم الخط العبري ، ولذلك قيل في زيد « يلعب بين صبيان اليهود في المكتب » ، وورد في حديث علي أنه رأى قوماً قد سدلوا ثيابهم وهم في الصلاة ، فقال: « كأنهم اليهود خرجوا من فُهرهم » ، قال أبو عبيدة في تفسير الفهر « بضم الفاء موضع مدراسهم الذي يجتمعون فيه كالعيد يصلون فيه ويسدلون ثيابهم [2] » ، وفي رواية « خرجوا من فهورهم [3] » ، فالمدراس عندهم كالمدرسة عند متمدني المسلمين المتأخرين ، قال الزمخشري « واجتمعت اليهود في مدراسهم ، وهو بيت تدرس فيه التوراة » وقال ابن الأثير : « المدراس فهو البيت الذي يدرسون فيه ومفعال غريب في المكان [4] » ، ومن ذلك العهد كثرت المكاتب والكتاتيب في بلاد الاسلام؛ ومن آثار ذلك ما روي في أخبار أشعب الطماع ، أنه مر بمكتب وغلام يقرأ على الأستاذ « إن أبي يدعوك » فقال أشعب: « قم بين يدي حفظك الله وحفظ أباك » فقال الغلام: « إنما كنت أقرأ وردي [5] » ، وقالوا في أخبار عبد ربه الصغير الخارجي زمن عبد الملك بن مروان « إنه كان معلم كتّاب [6] » ، وكان المكتب أيضاً يطلق على محل الكتابة الخاص: فقد جاء في أخبار أبي حنيفة النعمان بن ثابت أنه دخل المدينة فأتى أبا عبد الله الصادق جعفراً فسلم عليه قال هو: « ورأيت ابنه موسى في دهليزه قاعداً في مكتبه وهو صغير السن [7] » .

---

(١) شرح ابن أبي الحديد « ١ : ٢٣٧ » و « ٤ : ٤٥٩ » (٢) الشرح « ٤ : ٣٦١ » (٣) نهاية ابن الاثير « ٣ : ٢٢٠ » (٤) أساس البلاغة والنهاية « ٢ : ٢٠ » (٥) الشرح « ٤ : ٣٢٨ » (٦) الشرح « ١ : ٤٠٣ » (٧) أمالي المرتضى « ١ : ١٠٥ » .

وبقيت هذه الحال فى صدر الدولة العباسية وأواسطها ؛ قال النضر بن شميل: « كنا ثلاثة فى كتّاب واحد أنا وأبو زيد الأنصارى وأبو محمد اليزيدى(١) »؛ وقيل فى ترجمة أبى الحسن محمد بن عبد الله السّلامى الشاعر المتوفى سنة ٣٩٣ هـ ، إنه قال شعراً وهو فى المكتب (٢) ؛ ولما انتقلت المدارس العالية بالمعنى من البيوت والمساجد إلى المدارس الكبيرة بالاسم والحقيقة بقى المكاتب والكتاتيب على عهدها السابق ؛ فكانت بمثابة مدارس الاستعداد والتجهيز والابتداء اليوم ؛ ولسنا نعنى بانتقال المدارس من البيوت والمساجد إلى مواضعها المصطلح عليها انقطاعها بمرة من البيوت والمساجد ؛ فذلك ليس بمراد لأننا نرى فى كتب التاريخ من يقول : « قرأت عليه الكتاب الفلانى بداره » و « سمعت منه كذا فى المسجد الفلانى » فى حين كانت المدارس منتشرة بهيئتها المعلومة ؛ ومن ذلك قول عبد الحميد بن أبى الحديد فى خبر نبش القبور الأموية « قرأت هذا الخبر على النقيب أبى جعفر يحيى بن أبى زيد العلوى بن عبد الله فى سنة خمس وستمائة وقلت له(٣) » ؛ وقال فى موضع آخر « حضرت عند محمد بن معد العلوى فى داره ببغداد وعنده حسن بن معالى الحلى المعروف بابن الباقلاوى وهما يقرآن هذا الخبر (٤) وهذه الأحاديث من تاريخ الطبرى ... » ، وقال فى موضع ثالث « حضرت عند محمد بن معد العلوى الموسوى الفقيه على رأى الشيعة الأمامية ـ رحمهم الله ـ فى داره بدرب الدواب فى سنة ثمان وستمائة وقارىء يقرأ عنده مغازى الواقدى(٥) »؛ وكانت المدارس ببغداد إذ ذاك نحو الثلاثين مدرسة، وما منها مدرسة إلا وهى يقصر الوصف عنها (٦)، منها النظامية والنقشية ، والبنقتية، والجيلية، والحنيفية، ودار الذهب الأصبهبذية، والكمالية، والسهروردية ، والناصرية ، والتاجية ، فذلك الأسلوب من التعليم لم ينقطع استفحاله إلا فى هذا العصر ، ولم يبق منه إلا شىء قليل بحكم النادر .

وأول من أسس المدارس على هيئتها المعلومة ـ التى أشرنا إليها ـ السيد الشريف الرضى محمد ابن أبى أحمد الحسين الموسوى شاعر قريش المشهور المتوفى سنة ٤٠٦ هـ ، فقد كان متخذاً لتلاميذه دارا بالكرخ وسماها «دار العلم » ؛ وعين للطلاب جميع ما يحتاجون إليه، قيل : أرسل إليه الوزير المُهلَبى الحسن بن محمد بألف دينار ؛ فردها إليه أولى وثانية ، فبعث بها المهلبى ثالثة وقال فى رسالته : « يفرقها الشريف على ملازميه من طلاب العلم » ، فلما أحضر طبق الدنانير بين الطلاب قال الشريف للرسول : « هاهم حضور فليأخذ كل أحد ما يريد » ؛ فقام رجل وأخذ دينارا فقرض من جانبه قطعة وأخذها ورد الدينار إلى الطبق ، فسأله الشريف

(١) الوفيات ٢ : ٢٢٣ ، (٢) الوفيات ٢ : ٣٠٣ ، (٣) الشرح ٤ : ٢٠٥ ، (٤) خبر غسل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتكفينه (٥) شرح ابن أبى الحديد ٣ : ١٩٢ ، ٢٩٠ (٦) رحلة ابن أبى جبير ص ٢٠٧

عن ذلك فقال : « احتجت إلى دهن للسراج ليلة ولم يكن الخازن حاضراً فاقترضت من فلان البقال دهناً وأخذت هـذه القطعة لأدفعها إليه » ؛ فأمر الشريف فى الحال بأن يتخذ لخزانة الحاجات مفاتيح بقدر عدد الطلبة ليأخذ كل ما يحتاج إليه ولا ينتظر خازناً ، ورد الطبق على هذه الصورة (١) ؛ هكذا كان طلاب العلم وقيسة العرفان . ودار العلم هذه غير دار العلم التى اتخذها أبو نصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة البويهى المتوفى سنة ٤١٠ هـ ، فان هذه كانت خزانة كتب يردها ظماء العلم وعطاش الحقائق (٢) ؛ قلنا ذلك لأن الدارين كانتا ببغداد بالجانب الغربى فوجبت إزالة الالتباس .

فيظهر للمتحرى أن دار العلم الرضوية هى المدرسة الأولى فى نوعها ، ولكنها لم يطلق عليها اسم « المدرسة » ، وقد أخطأ قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان حيث قال عن نظام الملك الحسن بن على الطوسى المقتول سنة ٤٨٥ ما نصه « وهو أول من أنشأ المدارس فاقتدى به الناس » ؛ فبين وفاة الشريف ووفاته مدة ٧٩ سنة ؛ فأين يقع هذا القول من الحقيقة ؟

المدرسة النظامية ببغداد

شرع فى عمارتها نظام الملك المذكور فى سنة ٤٥٧ فى شهر ذى الحجة منها وانتهى منها سنة ٤٥٩ ، وفتحت يوم السبت عاشر ذى القعدة من السنة ، وكان نظام الملك أمر أن يكون المدرس فيها أبو اسحاق ابراهيم بن على الشيرازى ، وشرط فى أمرها أن لا يدرس فيها إلا شافعى ، وكان الوزير قد قرر مع أبى اسحق الشيرازى الحضور يوم افتتاحها للتدريس فلم يحضر ، وكان الناس قد حضروا المدرسة على اختلاف طبقاتهم فبحثوا عنه فلم يجدوه ؛ فاستدعى الوزير للتدريس فيها أبا نصر عبد السيد بن محمد المعروف بابن الصباغ ورتبه فيها مدرساً ، ثم ظهر الشيخ أبو اسحق الشيرازى فى مسجده الذى كان يدرس فيه ؛ وتغير عليه أصحابه بسبب فعلته وفتروا عن حضور دروسه وراسلوه فى أنه إن لم يدرس بالنظامية مضوا إلى ابن الصباغ وتركوه ، فأجابهم إلى ذلك وعزل ابن الصباغ من المدرسة بعد تدريسه عشرين يوماً (٣).

قيل : ولما بلغ علماء ما وراء النهر خبر بناء النظامية اتخذوا للعلم مأتماً وحزنوا على سقوط حرمة العلم وقالوا : « إن العلم ملكة شريفة فاضلة لا يتطلبها إلا النفوس الشريفة الفاضلة لجاذب الشرف الذاتى والمناسبة الطبيعية ، ولما جعل عليه أجرة تتطلبه النفوس الرذلة وتجعله مكسباً لحطام الدنيا ، ويتزاحم عليه لا لتحصيل شرف العلم ، بل لتحصيل المناصب الدنيوية السفلة الفانية ، فيرذل العلم برذالتهم ، ولا يشرفون بشرفه » ، ألا ترى إلى علم الطب ، فانه مع كونه

---

(١) عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب ص ١٨٥ — ٦ » (٢) الوفيات ١ : ٢١٧ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٤٢٣ ، ومعجم البلدان فى مادة « بين السورين » (٣) الوفيات ١ : ٣ ، ١٥٧ ، ٣٢٩ ، ٤٠ ونكت الهميان ص ١٩٣ ، والاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٨١ ، والسيوطى ص ٤٣١ .

علماً شريفاً تعاطته أراذل اليهود فأزروا بشرف علم الطب، وهذا حال أكثر طلبة العلم في هذا الزمان الفاسد (١) . . . وقد شاع اسم المدرسة بظهور النظامية كما ظهرت دار الحديث ودار القرآن في التسمية .

نهج المدرسة النظامية

إن مراد القدماء بلفظ العلم هو الدين وما يؤيده ويمهده لا العلم المطلق المضاد للجهل كما هو في عصرنا ، فكان نهج النظامية قاصداً إلى غايات خمس هي (ا) تدريس مذهب الشافعي مع علم الخلاف بينه وبين المذاهب الأخرى (ب) تدريس علم العربية من لغة ونحو وصرف (ج) تدريس التفسير بفروعه (د) الوعظ في المدرسة والحث على التمسك بالشريعة (هـ) المحاضرات والمناظرات والمراجعات في الأمور المشكلة وذات الاختلاف .

كان مدرس النظامية واحداً في أول أمرها ـ كما مررنا به ـ وبمرور الزمان برزت شدة الاحتياج إلى أكثر من مدرس ، فصارت يعين لها « مدرس دين وفروعه » ومدرس لغة ونحو ، ومعيد وهو معاون للمدرس يعيد درسه على التلاميذ ليسمعوه جيداً ويستمكن من أذهانهم ، وعين لها واعظ مشهور ، وجعل فيها خزانة كتب مخطوطة بأقلام مشاهير الكتاب، وكان يقيم فيها العلماء والشعراء الغرباء ويستعينون بأوقافها ؛ وكان المدرس يجلس على سدة التدريس ويرتدي الطرحة وهي كالطيلسان ؛ وعند تعيين المدرس يخلع عليه ، وبعد ما كان العلماء يتورعون عن تولي منصب التدريس ويزهدون فيه كل الزهد، جاء زمان قوم يتنافسون في الدنيا ويتسارعون إلى تولي المنصب ، بل منهم من انتقل من مذهب إلى آخر للحصول على المنصب ؛ كان المبارك بن أبي طالب المبارك المعروف بابن الدهان الوجيه الواسطي حنبلياً وتفقه على مذهب أبي حنيفة ؛ فلما شغر منصب تدريس النحو بالمدرسة النظامية انتقل إلى مذهب الشافعي ليليه ، فقال فيه مؤيد الدين أبو البركات بن زيد التكريتي :

ومن مُبلغ عني الوجيه رسالة ... وإن كان لا تجدى إليه الرسائل
تمذهبت للنعمان بعد ابن حنبل ... وذلك لما أعوزتك المآكل
وما اخترت قول الشافعي تديناً ... ولكنما تهوى الذي منه حاصل
وعما قليل أنت لا شك صائر ... إلى مالك فافطن لما أنا قائل (٢)

أحوال المدرسة النظامية

قال ابن جبير بعد دخوله بغداد سنة ٥٨٠ في المدارس: «وأعظمها وأشهرها النظامية وهي التي ابتناها نظام الملك وجددت سنة أربع وخمسمائة ؛ ولهذه المدارس أوقاف عظيمة وعقارات

(١) الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٨١ ، والزمان المذموم زمان قطب الدين الحنفي مؤلف ١٠ علام .
(٢) كتابنا « العيون الضائعة من الحوادث الجامعة سنة ٦١٢ » وهو من الكتب المخطوطة .

محبسة تصير إلى الفقهاء ، ويجرون منها على الطلبة ما يقوم بهم ؛ ولهذه البلاد فى أمر هذه المدارس والمارستانات شرف عظيم وفخر مخلد فرحم الله واضعها الأول ، ورحم من تبع ذلك السنن الصالح » ، وقال فى الوعاظ والفقهاء « فأول من شاهدنا مجلسه منهم الشيخ الامام رضى الدين القزوينى رئيس الشافعية وفقيه المدرسة النظامية ، والمشار إليه فى العلوم الأصولية ؛ حضرنا مجلسه بالمدرسة المذكورة اثر صلاة العصر من يوم الجمعة الخامس لصفر المذكور ، فصعد المنبر وأخذ القراء أمامه فى القراءة على كراسى موضوعة فتوقفوا وشوقوا وأتوا بتلاحين معجبة ونغمات مخرجة مطربة ؛ ثم اندفع الشيخ المذكور فخطب خطبة سكون ووقار وتصرف فى أفانين من العلوم من تفسير كتاب الله ـ عز وجل ـ وإيراد حديث رسوله والتكلم على معانيه ؛ ثم رشقته شآبيب المسائل من كل جانب ، فأجاب وما قصر ... ودفعت إليه عدة رقاع فيها (٢) فجعل يجاوب على (١) كل واحدة منها ويفيذ بها إلى أن فرغ منها وحان المساء فنزل وافترق الجمع فكان مجلسه مجلس علم ووعظ وقوراً هيناً ، ظهرت فيه البركة والسكينة . . . وشهدنا له مجلساً ثانياً إثر صلاة العصر من يوم الجمعة الثانى عشر من الشهر المذكور ، وحضر ذلك اليوم مجلسه سيد العلماء الخراسانية ورئيس الأئمة الشافعية ، ودخل المدرسة النظامية بهز عظيم وتطريف آماق تشوقت له النفوس ، فأخذ الامام المتقدم الذكر فى وعظه مسروراً بحضوره ومتجملا به فأتى بأفانين من العلوم على حسب [illegible] المتقدم الذكر ورئيس العلماء المذكور هو صدر الدين (٥) الخجندى (٣) » .

وفى سنة ٥٨٩ ، أمر الناصر لدين الله بعمارة خزانة الكتب بالمدرسة النظامية ونقل إليها من الكتب النفيسة ألوفاً لا يوجد مثلها (٤) ، وفى سنة ٦٤٦ غرقت المدرسة النظامية مع ما غرق من بغداد بفيضان دجلة ، وبلغ علو الماء فيها ست أذرع ، ثم غرقت سنة ٦٥٣ فوقع حائط رواقها ، وفى سنة ٦٧٠ احترق سوقها جميعه وهلك فيه كثير ممن كان فى الغرف وذهب من أموال الناس شىء كثير ، فأمر صاحب ديوان العراق علاء الدين عطا ملك الجوينى بعمارته من حاصل أوقافها (٥) .

وفى سنة ٦٧١ جلس الخواجة شرف الدين هرون بن الصاحب شمس الدين محمد الجوينى صاحب ديوان الممالك الايلخانية على السدة بالمدرسة النظامية وألقى دروساً ، وكان قد حضر المدرسة كافة أرباب الدولة والمدرسون والعلماء والفقهاء ليستمعوا دروسه ، وكان عمه مع الحاضرين ، ولما دخل محمد بن بطوطة بغداد أى سنة ٧٢٧ هـ كانت النظامية عامرة ؛ وقد

(١) يجاوب عليها : اى يكتب عليها جواباً ولذلك لم يقل « يجاوب عنها » لانه فى معنى آخر (٢) منسوب الى خجندة بما وراء النهر قيل : قتله سنقر الطويل سنة ٥٩٢ هـ فى فتنة اصبهان (ابن الاثير ١٢ : ٥٢) (٣) رحلة ابن جبير (ص ١٩٧ — ٨ — ٩ و ٢٠٨) (٤) ابن الاثير « ١٢ : ٤٣ » (٥) الحوادث الجامعة فى المائة السابعة .

أشار إليها فقال : « وهذه الجهة الشرقية من بغداد حافلة الأسواق عظيمة الترتيب ، وأعظم أسواقها سوق تعرف بسوق الثلاثاء (١) كل صناعة فيها على حدة ، وفى وسط هذه السوق المدرسة النظامية العجيبة التى صارت الأمثال تضرب بحسنها، وفى آخره المدرسة المستنصرية »؛ ومن هذه الكلمة القصيرة تقف على تقصير ابن بطوطة فى وصف مدارس بغداد بعكس ابن جبير، مع أن الأول كثيراً ما أطنب وأسهب فى وصف جمال الولدان والنساء فى بعض البلدان .

وفى سنة ٧٣٩هـ ، أى بعد دخول ابن بطوطة الأول لبغداد ذكرها « حمد الله المستوفى » المؤرخ الفارسى فى كتاب « نزهة القلوب » الجغرافى ، وكناها « أم المدارس » فى بغداد (٢) ، وجاء ذكرها مع ذكر على بن أبى القاسم أحمد القزوينى المدرس بها المتوفى سنة ٧٤٠ .

ثم إن الرحالة الألمانى « نيبهر كارستين » لما قدم بغداد فى منتصف القرن الثامن عشر للميلاد لم يجد للنظامية أثراً فيصفه مع ما وصفه من الآثار والأطلال (٣) ، وأسباب الزوال كثيرة فى أيام بغداد الأخيرة أيام التعصب الدينى والسياسى والجهل ونبذ العلم، ولاسيما فى عهد ولاة الأتراك الجهلة الظلمة ؛ وببغداد اليوم منارة فى زقاق من محلة باب الأغا لم تبق إلا قاعدتها وليس حواليها إلا البول والنائط ذهب بعضهم إلى أنها بقية منارة المدرسة النظامية ، وهو مذهب لا يرفضه العقل ، ولكن يقبل غيره ، لأن المؤرخين الخطيبين ذكروا أن المدرسة التتشية (وتعرف بالبهائية أيضاً) كانت فى جوار النظامية ، فيجوز أن بقية المنارة منها أو من مسجد؛ ووضع المؤرخ الانجليزى لسترنج فى كتابه « بغداد على عهد الخلافة العباسية » رمز النظامية فى إحدى خرائطه « على شاطىء دجلة » بما يقرب اليوم من شريعة السيد على السلطان، وهذا من الغلط الواضح، لأن النظامية كانت بمحلة نهر المعلى ببغداد ؛ قال أبو القاسم مكى بن عبد السلام المقدسى فى موت الخطيب المؤرخ البغدادى « وأخرجت جنازته من حجرة تلى المدرسة النظامية من نهر المعلى (٤) » ، قال ياقوت الحموى المتوفى سنة ٦٢٦ ما صورته « نهر المعلى : وهو اليوم أعظم وأشهر محلة ببغداد ، وفيها دار الخلافة ، وهو نهر يدخل من باب يبرز ، باق إلى الآن مستمدة من الخالص (٥) ، فيسير تحت الأرض حتى يدخل دار الخلافة ، وهو المسمى بالفردوس منسوب إلى المعلى بن طريف » ، وقال صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق المتوفى سنة ٧٣٩ ما نصه « ولا أثر له الآن والمحلة المذكورة هى من عقد الحديد إلى العقد المصطنع فى الشارع الأعظم ، ومن الرحبانيين وباب النوبى إلى باب جامع القصر إلى العقدين، وفيه السوق والدكاكين (٦) » وهذا ما يستحيل به كون النظامية على دجلة ؛ ولعل سبب

---

(١) هو اليوم سوق الميدان الممتد الى قرب جامع مرجان المنعطف نحو الغرب ويعرف بسوق البزازين
(٢) لسترنج ص٢٩٩ (٣) لسترنج ص٣٠٠ (٤) معجم الادباء « ١ : ٢٥٩ » (٥) الصواب « من نهر بين » كما فى تاريخ بغداد للخطيب ومناقب بغداد لابن الجوزى (٦) مراصد الاطلاع على الامكنة والبقاع ص٤٠٧

غلط هذا المؤرخ العلامة أن الخططيين ذكروا فى وصف القرية إحدى محال بغداد الغربية، « أنها فى الجانب الغربى مقابل مشرعة سوق المدرسة النظامية » فظن أنها مشرعة المدرسة وما هى إلا مشرعة سوقها .

مدرسو النظامية المشهورون

أبو اسحق ابراهيم بن على الشيرازى المذكور (٣٩٣ ـ ٤٧٦ هـ) ؛ أبو نصر عبد السيد ابن الصباغ المتقدم خبره (٤٠٠ ـ ٤٧٧) ؛ أبو سعيد المتولى عبد الرحمن النيسابورى (٤٢٦ أو ٧ ـ ٤٧٨) ؛ أبو حامد محمد بن محمد الغزالى (١) (٤٥٠ ـ ٥٠٥) ؛ أبو الفتوح أحمد بن محمد الغزالى (٥٢٠) ؛ أبو الفتح أسعد بن أبى نصر المهينى (٥٢٧) ؛ أبو زكريا يحيى بن على الخطيب التبريزى (٤٢١ ـ ٥٠٢) ؛ معين الدين أبو منصور سعيد بن محمد الرزاز (٥٣٩) ؛ على بن محمد الفصيحى (٥١٦) ؛ أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقى (٤٦٦ ـ ٥٣٩) ؛ وأبو الحسن على بن محمد الكياهراسى (٤٥٠ ـ ٥٠٤) ؛ أبو نصر أحمد ابن عبيد الله الشاشى ، درس سنة ٥٦٦ ، وعزل سنة ٥٦٩ ؛ رضى الدين أبو الخير أحمد بن اسماعيل القزوينى المشار إليه آنفاً (٥٩٢) ؛ أبو المحاسن يوسف بن رافع بن شداد ، كان بها معيداً لمدرس (٦٣٢) ؛ السديد السلماسى محمد كان معيداً مع ابن شداد ؛ المبارك بن المبارك ابن الدهان (٥٣٢ ـ ٦١٢) ؛ شهاب الدين محمود بن أحمد الزنجانى (٦٥٦) ؛ أبو عبد الله محمد بن يحيى بن فضلان (٦٣١) ؛ أحمد بن ثبات الهمامى (٦٣١) ؛ أبو محمد نجم الدين عبد الله البادرائى (٦٥٥) ، شمس الدين محمد بن الكبشى (٦٩٤) ؛ أبو البيان نور الدين الحلبى (٦٨٧) ؛ مجد الدين على بن جعفر درس بها ؛ ثم نقل سنة (٦٨٢) ؛ نجم الدين بن أبى العز درس بها سنة (٦٨٧) ؛ نصير الدين الفاروقى عين للتدريس بها سنة ٦٨٧ ؛ على بن أبى القاسم أحمد القزوينى توفى سنة ٧٤٠ ، وقد قدمنا ذكره ؛ على ابن أحمد الموصلى كان معيداً بها ؛ وفى سنة ٦٩٢ أنجز كتابة ترجمة الشاهنامة بالعربية للبندارى .

بعض خزّان الكتب النظامية

محمد بن أحمد الأبيوردى المتوفى سنة ٥٠٧ ؛ أبو يوسف يعقوب بن سليمان الاسفرائينى ؛ عبد القادر بن داود الواسطى المعروف بمحب الدين ، ذكره عبد الحميد بن أبى الحديد قال : « حضرت أنا وغلام بالنظامية ببغداد فى بيت عبد القادر بن داود الواسطى المعروف بالمحب خازن دار الكتب بها ، وعنده فى البيت باتكين الرومى الذى ولى إربل أخيراً وعنده أيضاً جعفر بن مكى الحاجب ... (٢) » .

---

(١) بتخفيف الزاى على الصحيح كما فى نزل من الصباح

(٢) شرح ابن أبى الحديد « مج ٣ ص ٣٨٢ »

هذه خلاصة ما نكتب عن المدرسة النظامية ببغداد ، وكانت عدة مدارس تعرف إذ ذاك بالنظامية منهن نظامية نيسابور .

وقد شاعت المدارس بعد نظاميات الوزير نظام الملك شيوعاً عظيما ، وتأثر الوزراء آثار هذا الوزير ، فبنى تاج الملك أبو الغنائم المرزبان بن خسرو وزير ملكشاه السلجوقي أيضاً مدرسة ببغداد للشافعية سماها التاجية ، وجعل الشيخ أبا بكر الشاشي مدرسها، وكان افتتاحها سنة ٤٨٢ هـ ثم بنيت ببغداد المدرسة النقيبة نسبة إلى نقابة الدولة بن الأنباري ، والمدرسة النقشية بناها خمارتكين النقشي ، وقد قدمنا أنها تعرف بالمدرسة البهائية، ومدرسة فخر الدولة ابن المطلب ، والمدرسة السكالية ، والمدرسة الشرقية ، والمجاهدية ، والزمردية ، والبشيرية، والعصمتية ، والبكرية، والمستنصرية ، والجيلية ، والنعمانية، ومدرسة عبد الوهاب، ومدرسة ابن الأثير ، والمدرسة الاسماعيلية ، والمرجانية ، والمسعودية ، ومدرسة الايكجية (١) .

وأعظمهن أوقافاً وسعة واحتفالا وتأثيراً واشتهاراً ونشراً للثقافة الاسلامية « المدرسة المستنصرية » نسبة إلى المستنصر بالله العباسي ، ولا تزال آثارها قائمة على شط دجلة ببغداد الشرقية ، وتليها في العظمة المدرسة المرجانية نسبة إلى أمين الدين مرجان بن عبد الله الرومي والي بغداد في زمن السلطان أويس الجلايري ، وهو من السلاطين المعروفين بالشيخ حسنية ، وأصلهم من المغول ، وهذه المدرسة اليوم اسمها « جامع مرجان » بديعة البناء عظيمة الأوقاف مدهشة الرياضة منقوشة جدرانها بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والشروط الوقفية وذكر الوقوف ، وهي من مبتنيات منتصف القرن الثامن للهجرة .

هنا نقف القلم اليوم وسنبتهل الفرص للكتابة عن المدرسة المستنصرية التي ذاع صيتها في الآفاق ، وانتشر طلابها في أقطار الأرض ، وشاع فضلها في أرجائها حتى غطت على شهرة المدارس كلها ، والله المعين . ؟

[بغداد] مصطفى جواد

(١) ذكرنا بعض هذه المدارس مع قول ابن جبير آنفا

اطبعوا مطبوعاتكم
في
مطبعة المعرفة
فهي مستعدة لطبع الكتب والمجلات والجرائد بغاية الدقة والاتقان
الادارة : رقم ٤ شارع عبد العزيز بالقاهرة